|  |  |
| --- | --- |
| **تفريغات دروس دار الحديث بتونس -الفصل الأول-**  **العقيدة - الدرس الثالث** | Description: C:\Documents and Settings\tharawen\Desktop\logo1.JPG |

****

**الحمد لله والصلاة و السلام على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و على آله و أصحابه و من سار على هديه و اتبع آثاره و على آله و صحبه أجمعين وبعد,**

**نواصل حديثنا بإذن الله تعالى على المصطلحات المتعلقة بالعقيدة الإسلامية من تعريف أهل الحديث و الطائفة المنصورة و الكلام على الإنتساب لأهل السنة و كيف نشأت التسمية و الملامح العامة و الصفات الأساسية التي تميّز أهل السنة و الجماعة .**

**إبتداءً التعريف بأهل الحديث.**

**التعريف بكلمة الحديث لغة: الحديث في اللغة ضد القديم و يستعمل في كثير الكلام و قليله و هو اسم من التحديث بمعنى الإخبار، ثم سُمّي بها كل ما صدر عن النبي محمد صلى الله عليه و سلم من قول أو من فعل أو تقرير أو وصف خَلْقِيّ أو خُلُقِي، فهذا تعريف كلمة الحديث من حيث اللغة .**

**و الخبر ما جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن غيره من أصحابه أو التابعين أو تابعي التابعين أو من دونهم . لأنه ذكر هنا قال أن بعض العلماء يضيف إلى ذلك ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي أو ما صدر عنهما وعندئذ تصبح كلمة الحديث مرادفة للخبر عند علماء الحديث. و الخبر هو ما جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم و عن غيره من أصحابه أو التابعين أو تابعي التابعين أو من دونهم.**

**و تعريف أهل الحديث:**

**نستطيع أن نتعرف على "أهل الحديث" ؛ وهم الذين سلكوا طريق الصالحين، واتبعوا آثار السلف من الماضين، وكان لهم عناية خاصة بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم جمعا وحفظا، ورواية وفهما، وعملا في الظاهر والباطن، فكانوا بذلك ألزم الناس لسنن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقدمون بين يديه، ولا يرفعون صوتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم لا بتقديم رأي أو هوى، أو يستحدثون بدعة في مقابلة النص بحال من الأحوال.**

**فأهل الحديث يعظمون النصوص الشرعية و لا يتعدوّنها إلى غيرها فيقفون عند ما ورد من كتاب ربنا عزّ و جلّ أو سنة نبينا صلى الله عليه و سلم فهم أهل الحديث.**

**ثم ذكر: هل هناك فرق بين "مصطلح أهل السنة" و "أهل الحديث"؟ قال:**

**إن كثيرا من الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وغيره من العلماء قبله وبعده، يذكرون أهل الحديث وأهل السنة؛ مبينين اعتقادهم، ولا يفرقون بين المصطلحين. أي بيّن مصطلح "أهل السنة" و " أهل الحديث ". فهذا الإمام الصابوني –رحمه الله- يقول في عقيدته ،عقيدة السلف وأصحاب الحديث:" إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة –حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة والنبوة..." إلى أن يقول:" وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم".**

**ففي أول الكلام ذكر قال "أهل الحديث " ذكر فقال: "إنّ أصحاب الحديث"، ثم في آخر قال و قد أعاذ الله تبارك و تعالى أهل السنة من التحريف و التكييف، فدل ذلك على أن مفهوم أهل السنة هو نفسه مفهوم أهل الحديث عند الإمام الصابوني.**

**فعبّر بكل من الصطلحين عن الآخر؛ مما يدل على أنهما يترادفان ولا سيما إذا ذكرا في كتب الاعتقاد؛ لأن اعتقدهما واحد وهو ما جاء في الحديث والسنة، وهما بمعنى واحد.**

**وقد ذكر أن معنى السنة في عرف كثير من السلف مقابل للبدعة، فيقصدون بالسنة موافقة الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، فيُقال مثلا: فلان على السنة: إذا كان عمله موافقا للكتاب والسنة وعمل السلف. وفلان على البدعة: إذا كان عمله مخالفا للكتاب والسنة. والسنة عند المحدثين مرادفة للحديث؛ فهما كل ما أُثِر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أوصفة خَلقية أو خُلقية. وبهذا يتبين لنا أن السنة والحديث وإن كانا بمعنى واحد عند المحدثين لكنهما عند غيرهم ليس كذلك ولا سيما عند السلف الذين يطلقون السنّة في مقابل البدعة. وعلى هذا فهناك فرق بين مصطلح أهل السنة وأهل الحديث وإن عُبِّر بأحدهما عن الآخر في أبواب الإعتقاد لما بينهما من التقارب في الغالب وإلا فقد يكون المرء من أهل السنة وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية، أي ليس بمحدث. و قد يكون المرء من أهل الحديث صناعة و ليس هو من أهل السنة فقد يكون مبتدعا . يعني المرء قد يكون من أصحاب الحديث له عناية بالحديث لكن في معتقده خلل , فيكون مجانبا لسنة للنبي صلى الله.**

**عليه و سلم بالمعنى الذي هو عند السلف في مقابلة البدعة و قد يكون ليس من أهل الحديث - اي من أهل الصنعة- و يكون على معتقد سليم. فهذا هو معنى الكلام.**

**وقد يكون المرء من أهل الحديث صناعة وليس هو من أهل السنة، فقد يكون مبتدعا؛ ولذلك قال عبد الرحمان بن مهدي:" الناس على وجوه؛ فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري". رحمه الله تبارك وتعالى.**

**وقال الإمام ابن الصلاح –وقد سئل عن الفرق بين السنة والحديث في قول بعضهم عن الإمام مالك إنه جمع بين السنّة والحديث-: "السنة هنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رحمه الله تبارك وتعالى جمع بين السنتين؛ فكان عالما بالسنة –أي : بالحديث- ومعتقدا للسنة- أي " كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة-".**

**فإذا قيل "أهل الحديث" في كتب الغقائد، فالمراد أهله رواية ودراية واتباعا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- في بيان المقصود بلفظ "أهل الحديث" : "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته وروايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا، واتباعه باطنا وظاهرا – يعني يروي الحديث ويعمل به ويعتقد ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يروي الحديث ثم يرد الحديث برأيه..- وكذلك "أهل القرآن" . وعلى هذا المعنى يصح أن يعبر بمصطلح "أهل الحديث" عن "أهل السنة" وهو المراد عند الإطلاق؛ ولا سيما في كتب الإعتقاد عن السلف رحمهم الله تبارك وتعالى.**

**ثم ذكر مصطلح الطائفة المنصورة.**

**الطائفة المنصورة:**

**فأصل إطلاق هذا اللقب: هذا اللقب مستفاد من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي رواه عنه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون".**

**وما رواه معاوية بن قرة، عن أبيه: " لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة".**

**هذا هو المراد بهذا اللقب، وهذا هو أصل إطلاقه أننا نقول "الطائفة المنصورة".**

**فمن المُرادون بهذا اللقب؟**

**قال: ومما تجدر الإشارة والتنبيه عليه هنا، أن لقب "الطائفة المنصورة" يفسره أهل العلم من السلف بأنهم أصحاب الحديث.**

**لقد بين السلف –رحمهم الله- المراد بهذا اللقب. فقال عبد الله بن المبارك –رحمه الله تبارك وتعالى- : هم عندي أصحاب الحديث.**

**وقال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ يعني: "الطائفة المنصورة" الواردة في حديث :" لا تزال طائفة من أمتي منصورين".**

**و قال علي ابن المديني ( شيخ الإمام البخاري رحمهما الله تبارك وتعالى) هم أصـــحاب الحديث و قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله: إن لم تكن هذه الطائفة المنصـــورة أصحاب الحديـــث فلا أدري من هم. قال الحـــافــظ بن حجر سنده صحيح وقال الإمام البخاري –رحمه الله تبارك وتعالى- : وهم أهل العلم. وروى الخطيب البغدادي عنه بسنده أنه قال –يعني: أصحاب الحديث- لا منافاة أبدا بين قولين؛ فإن أهل الحديث من أهل العلم ولا شك.**

**فهذه كلمات في المراد بهذه الطائفة المنصورة أو بلقب " الطائفة المنصورة"، وقد بينا المراد بأهل الحديث : وهم الذين يروونه رواية ودراية، علما وعملا واتباعا: دراية بمعنى فهما.**

**قال: تفصيل القول في أهل الحديث:**

**بين العلماء المراد بالطائفة المنصورة بأنهم هم أهل الحديث؛ ولذلك أقول تبعا لهذا بأن أهل الحديث هم الذين يستحقون النصر والظهور. لماذا؟**

**لنُصرتهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعملهم بها، وذبهم عنها، فهم أولى الناس حقيقة بأن يُطلق عليهم هذا اللقب –أي لقب "الضائفة المنصورة"- كما قال أبو عبد الله الحاكم- بعد أن ذكر قول الإمام أحمد في الطائفة المنصورة السابق- : فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث ، ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محاجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأهل الحديث بهذا المعنى هم أهل السنة. ولهذا قال القاضي عياض –رحمه الله، عقب قول الإمام أحمد السابق: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث. فأهل الحديث في تفسير السلف للطائفة المنصورة: هم أهل السنة والجماعة، فهم الطائفة المنصورة؛ ولهذا نرى كثيرا من أهل العلم يطلق اسم الطائفة المنصورة على أهل السنة والجماعة. يعني في ابواب المعتقد، أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، أهل الحديث، هذه مسميات كلها تدل على شيء واحد فعقيدتهم عقيدة واحدة لأنها مستقاة من الكتاب والسنة.**

**ثم قال: القاب أهل السنة والحديث عند خصومهم من أهل البدع (أي عند مخالفيهم):**

**اللقب الأول لقب "المشبهة": يعني ينعتونهم و يسمونهم بالمشبهة و يصفونهم بهذا الوصف وهذا اللقب من أشنع الألقاب التي نبذهم به مخالفوهم في باب الأسماء والصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.**

**فأهل السنة والجماعة يصفون الله عز وجل بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل، ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وعند هذه الطوائف والفرق: أنه لا بد من تأويل النصوص الواردة في باب الصفات؛ لأن ظاهرها يوهِم التشبيه –عندهم- ولهذا قالوا: لا بد من صرفها. وعَدُّوا كل من أثبت لله ما أثبته لنفسه، وما أثبتته النصوص من غير تأويل، مشَبِّها.**

**يعني عند هذا الأمر، اللقب الأول أنهم وصفوا أهل السنة والجماعة بأنهم مشبهة، فأهل السنة والجماعة يثبتون لله عز و جل ما أثبته لننفسه في كتابه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم لأنه لا أحد أعلم من الله عزّ و جل من نفسه سبحانه و تعالى و قد وصف نفسه سبحانه و تعالى بأوصاف فلا بد بقبولها و إجرائها على ظاهرها كما هو معتقد السلف الصالح، كذلك ليس أحد من الخلق أعلم بما لله عزّ و جل من نبيه صلى الله عليه و سلم، فأثبت لربه عز و جل الصفات، فلا بد من قبولها و إجرائها على ظاهرها بدون تمثيل و لا تشبيه: "ليس كمثله شي و هو السميع البصير".**

**لكن ثمة من نعت أهل السنة و الجماعة ؛ أهل الحديث، الطائفة المنصورة عند إثباتهم لهذه الصفات بأنهم مشبهة و هذا ادعاء باطل و غير صحيح لأن الله تبارك و تعالى قال : " ليس كمثله شيء و هو السميع البصير"؛**

**ليس كمثله شيء تنزيه من الله تبارك و تعالى، تنزيه لله عز وجل عن مشابهة المخلوقات أو الحوادث و غير ذلك، و هو السميع البصير فيه إثبات الصفات، فهنا تنزيه بلا تعطيل، ننزه الله عز و جل من دون أن نعطله عن صفاته. و هو السميع البصير: إثبات بلا تمثيل, يعني سمع الله تبارك و تعالى ليس كسمع خلقه، فالله عزّ و جل أثبت للمخلوق سمعا و بصرا فهل سمع المخلوق و بصره كسمع و بصر الله عز و جل ؟ لا، محال، فليس بينهما مماثلة فهذا مسلك أهل السنة و الجماعة في هذا الباب إثبات ما أثبته الله عز و جل لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه و سلم و إنما يكون التشبيه و التمثيل كما قال إسحاق ابن راهوية : إذا قال " يد كيد" و لكن إذا أثبت الصفات و أجراها على ظاهرها كما هو معتقد السلف الصالح فهذا ليس فيه تشبيه. كما قال نعيم ابن حمّاد : "من شبه الله تبارك و تعالى بخلقه فقد كفر و من جحد ما وصف الله عز و جل به نفسه فقد كفر و ليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه و لا تمثيل أو كما قال". و كما قال الإمام أحمد الأوزاعي رحمه الله تبارك و تعالى: "عليك بآثار السلف و إن رفضك الناس و إيّاك و آراء الرجال و إن زخرفوها لك بالقول". و هذا سيأتي فيه التفصيل، لكن هذه فكرة عامة عن هذا الأمر بعد ذلك يأتي التفصيل.**

**طالب سأله عن الجهمية: الجهمية هم نفاة الصفات، الجهمية نسبة إلى جهم ابن صفوان و شيخ الجعد ابن درهم الذي أخذ عنه هذه المقالة و قد انتشرت عن جهم ابن صفوان و إليه تنسب فرقة الجهمية، و الجهمية يعني هم نفاة الصفات يعني لا يثبتون لله عز و جل الصفات .**

**طالب سأله ماهو الفرق بين التمثيل و التشبيه: التمثيل يعني يكون " مثل كمثل " في كل شيء، و التشبيه قد يكون في أغلب الأشياء و بعض الأشياء لكن ثمة مخالفة . التمثيل يكون تمام بتمام، لكن هو التعبير الأصلح و الأليق : "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير"، يعني نفي للمثلية.**

**اللقب الثاني هو "مجبرة":**

**وهذا اللقب نبذهم به المعتزلة والقدرية؛ وذلك لأن أهل السنة والأثر يقولون: كل شيء بقدر الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وهذا القول عند القدرية جَبر؛ لأنهم أن أفعال العباد هم المحدثون لها، وليست مخلوقة لله (القدرية هم نفاة القدر، فالعبد عندهم هو الذي يخلق فعله)، وأن أفعال الشر من الكفر والمعاصي تقع من العبد وهو المحدث لها، من غير إرادة من الله ومن غير تقدير لها، وكل من قال: إنها تقع بإرادة الله وقضائه وقدره، عدوه جبريا.**

**يعني الذي قال أن أفعال العباد تقع بإرادة الله عزّ وجل فهو عندهم من الجبرية. هذه المسألة مسألة أفعال العباد .**

**قال تعالى : "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ". الله عزّ و جل هو الخالق لكل شيء، حتى لأفعال العباد فهي مخلوقة من الله تبارك و تعالى. فادّعت طائفة و هم القدرية و هم نفاة القدر، أن العبد هو الذي يخلق فعله و هو مستقل عن الله عز و جل في ذلك . و طائفة أخرى و هم الجبرية قالوا أن العبد مجبر على فعله و هو كالريشة في مهب الريح ليس له تصرف و لا قدرة و لا إرادة فسلبوا عنه الإرادة و القدرة، و الطرف الآخر من القدرية أطلقوا له القدرة و الإرادة فتوسط أهل السنة و الجماعة لهما ؛ فأثبتوا للعبد قدرة و مشيئة لكن جعلوها غير خارجة عن قدرة الله تبارك و تعالى و مشيئته، " ‏وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ"**

**فالعبد له قدرة و له إرادة و له مشيئة لكن هذه القدرة و الإرادة و المشيئة لا تخرج عن مشيئة الله تبارك و تعالى لأنه لا يقع شيء في كون الله تبارك و تعالى ليس من خلقه و إلا كان له شريك في ملكه سبحانه و تعالى، " ‏وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ". فأهل السنة عند هؤلاء القدرية سموهم مجبرة.**

**طالب يسأله عن القدرية نعم يعني العبد هو الذي يخلق فعله , فماذا نقول في الفاتحة : "إيّاك نعبد و إياك نستعين" ، فنستعين بالله عز و جل في عبادته فلولا أن الله تبارك و تعالى هو الذي أعاننا على هذا الفعل ما استطعنا إليه سبيلا ، لكن هؤلاء يقولون أن العبد في قدرته و أرادته و مشيئته يخلق فعله بنفسه.**

**اللقب الثالث هو لقب "ناصبة":**

**وهو من الألقاب الشنيعة التي رماهم بها الرافضة. وهو لقب يطلقونه على كل من قدَّم أبا بكر وعمر وعثمان على عليّ -رضي الله عنهم- في الخلافة والفضل. سُئل بعض أئمة الشيعة عن الناصب، هل احتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه "الجبت" و"الطاغوت" واعتقاد امامتهما ؟ ( "الجبت و الطاغوت" يعني بذلك أبا بكر و عمر رضي الله عنهما – نسأل الله العافية-)**

**فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب.** **بمعنى أن الناصب عندهم من ناصب أهل البيت العداء و صحابة رسولنا صلى الله عليه و سلم براء من ذلك .فهم يعقدون لأهل البيت فضلهم و قدرهم و كانت بينهم من المحبة ما كان بينهم من التآخي و الود كما بين أبي بكر و عمر و عثمان و علي رضي الله عنهم جميعا. فهنا الناصب بمعنى الذي يقدم ابا بكر و عمر و عثمان في الخلافة على علي رضي الله عنه بزعمهم أن علي هو كان مستحق للخلافة و المقدم على أبي بكر و عمر و عثمان .**

**وهو من المناصبة وهي المعاداة؛ يقال: ناصبه الشر والحرب والعداوة مناصبة، أظهره له.**

**وعند الرافضة: كل من لم يبغض أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقد أبغض عليًّا؛ لأنه لا ولاء لعلي إلا بالبراء منهما، ثم جعلوا كل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيا.**

**وقال الإمام الجيلاني في ذلك: وتسميتها الرافضة "ناصبية" –يعني: تسمي أهل السنة، أهل الحديث، السلف – لقولها باختيار الأمام ونصبه بالعقد. والرافضة لا ترى ذلك، وإنما تذهب إلى أن الأئمة قد نُصَّ عليهم. يعني لا بد أن يكون الإمام السابق للإمام الذي يأتي بعده عند الرافضة منصوصا عليه من المتقدم لكن عند أهل السنة و الجماعة فيقوم الإمام بإختيار أهل الحل و العقد.**

**الإنتساب لأهل السنة وكيف نشأت التسمية؟**

**أهمية الإنتساب إلى أهل السنة: إن تحقيق انتساب الفرد والطائفة إلى أهل السنة والجماعة هو أعظم المهمات؛ فهو طريق النجاة والعصمة في الدنيا من الفِرقة والبدعة، وذهاب الريح، وهو طريق النجاة في الاخرة من العذاب والتباب.**

**قال جلّ وعلا: "** **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ" والتحقيق أنه طريق الإسلام المستقيم، وهو منهجه القويم، قال تعالى: "** **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".**

**وقد فُسِّر الصراط المستقيم بالشنة والجماعة، فالإنتساب إلى أهل السنّة الجماعة والسلف الصالح، يعني في حقيقة الأمر الانتساب إلى الإسلام الصافي عن شوائب البدع ومخالفة الفِرق. ومن المعلوم: أن كل من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، يكون لا شك مقبلا على الالتزم بالإسلام جملة، وعلى تحكيم شريعته استسلاما وانقيادا، وبرئ بذلك من تبنى أي مذهب يدعي، أو الإنتساب إلى فرقة ضالة، أو الإعتماد على أصل كلي من أصول البدع.**

**ومن كان كذلك –أي: التزم هذا الإلتزام، وصار على هذا المنهج- فهو من أهل السنة والجماعة إجمالا، وهذا يشمل عوام المسلمين الذين لم ينضووا تحت راية بدعية، ولم يكفروا سواد فرقة غير مرضية؛ فهذا القدر يحقق انتسابا إجماليا تصح به النسبة إلى أهل السنة والجماعة.**

**وتتجلى أهمية هذا الإنتساب وتظهر ثمراته في أمور؛ منها: أن ضبط أصول أهل السنة والتمسك بها عصمة من الإضطراب والتخبط العملي العلمي، وفي ذلك ما لا يخفى من حفظ الدين من أنواع التحريف كافة، ومواجهة التيارات البدعية المنحرفة القديمة منها أو المعاصرة. ثم ذكر في آخر الصفحة : ثم إن شرف تجديد الدين الذي أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم لا يتأتى على وجهه الأكمل وصورته المُثلى، إلا من الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة. إذ فيهم المتقون، ومنهم المجددون السلفيون المصلحون.**

**ثم ذكر قال: كيف نشأت التسمية بأهل السنة و الجماعة ؟**

**أما عن بدأ التسمية بأهل السنة والجماعة أو أهل الحديث، فكانت له بداية؛ لأن الإفتراق لمّا حصل وتعددت هذه الفرق، وكثرت البدع والانحرافات؛ كان لا بد لأهل السنة أن يتميزوا عن غيرهم في اعتقادهم وفي منهجهم، وإن كانوا في الحقيقة امتدادا طبيعيا لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، -أعني: أهل السنة والجماعة- ليتميزوا به عن سائر الفرق الضالة المبتدعة.**

**يعني إجمالا متى ظهر هذا المصطلح ؟ عند ظهور البدع اضطر أهل السنة و الجماعة بالتّسمي بهذا الإسم تمييزا لهم عن غيرهم . ثم ذكر قال : الملامح العامة و الصفات الأساسية التي تميز أهل السنة و الجماعة.**

**الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز أهل السنة**

**منهج التلقي عند أهل السنة والجماعة:**

**أهل السنة والجماعة أول ما يميزهم عن غيرهم و منهاج التلقي لمعلومهم، ومصدر الحق الذين ينهلون منه عقائدهم، وتضوراتهم، وعبادتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم؛ فمصدر العلم والحق في سائر فروع المعرفة الشرعية عند أهل السنة والجماعة، هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا كلام لأحد قبل كلام الله، ولا هدي لأحد قبل هدي محمد صلى الله عليه وسلم. فمنهج التلقي هو الوحيين: الكتاب و السنة. ثم ذكر قال: أهل السنة هم أهل التوسط و الإعتدال .**

**أهل السنة هم أهل التوسط والإعتدال**

**وهذه مسألة من أبرز معالم ومنهج أهل السنة والجماعة. فمن الصفات الاساسية التي تميز منهج أهل السنة والجماعة، هو التوسط والإعتدال. فالأمة المحمدية هي خير الأمم، كما قال تعالى: "** **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ". وهي أيا الأمة الوسط التي توسطت الأمم، فكان عندها من كل ما فيها خيره وأحسنه، كما قال سبحانه: "** **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً". فأمة النبي صلى الله عليه وسلم هي أفضل الأمم، وهي أعدل الأمم، وهي أخير الأمم بإطلاق، وأهل السنة والجماعة هم أعدل وأوسط وأفضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ووسطية الأمة المحمدية متضمنة لكونها على الحق؛ يعني أهل الإسلام، أهل السنة و الجماعة بمعنى الإسلام و هم أهل الحديث و الطائفة المنصورة و أفضل أمة محمد صلى الله عليه و سلم ووسطية الأمة المحمدية متضمنة لكونها على الحق. فكما أن أمة النبي صلى الله عليه و سلم هي خير الأمم و أوسط الأمم، هي كذلك أهل السنة و الجماعة هم وسط بين فرق المبتدعة و كما سيأتي ذكر ذلك.**

**وأسعد الأمة المحمدية بهذا الأمر هم أهل السنة والجماعة، ولذا فهم بين فِرق الأمم المحمدية كالأمة المحمدية نفسها بين الأمم فهم الوسط بينهم؛ لأن منهجهم هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: "هي الجماعة" ، وفي رواية: "هي ما كان عليه أنا وأصحابي" فهم الممثلون للأمة المحمدية في صفاء عقائدها، ونقاء منهجها، ومصداق هذه الوسطية تظهر بإيضاح معالمها، كما تظهر ببيان عناصرها، وذكر مظاهرها والتي من أهمها ما يلي:**

**أولا : الوسطية في آيات صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبه.**

**وهذه هي المسألة الأولى أن أهل السنة و الجماعة وسط في باب الأسماء و الصفات , فأثبتوا لله تبارك و تعالى الأسماء و الصفات كما أثبتها لنفسه و كما أثبتها النبي صلى الله عليه و سلم، فلم يمحوا الصفات عن الله تبارك و تعالى بدعوى التنزيه و لم يمثلوا صفات الله تبارك و تعالى بالمخلوقات . " ليس كمثله شيء و هو السميع البصير"؛ و هو مسلك سلفنا الصالح في إثبات الأسماء و الصفات.**

**و أذكر من كتاب عقيدة السلف و أصحاب الحديث للإمام الصابوني رحمه الله تبارك و تعالى، قال في هذه المسألة وسطية أهل السنة و الجماعة في باب الأسماء و الصفات ؛ قال : "قلت و بالله التوفيق أصحاب الحديث حفظهم الله حفظ الله أحيائهم و رحم أمواتهم يشهدون لله تعالى بالوحدانية و بالرسول عليه الصلاة و السلام بالرسالة و النبوة و يعرفون ربهم عز و جل بصفاته التي نطق بها وحيه و تنزيله أو شهد بها رسوله صلى الله عليه و سلم على ما وردت الأخبار الصحاح به و نقلت العدول الثقات عنه و يثبتون لله جلّ جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه و على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم و لا يعتقدون تشبيها لصفاته بصفات أحد خلقه، فيقولون أنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله عزّ و جل: "قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" و لا يحرّفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوّتين تحريف المعتزلة الجهمية، و لا يكيفونها بكيف و لا يشبهونها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله و قد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف و التشبيه و التكييف و منّ عليهم بالتعريف و التفهيم حتى سلكوا سبيل التوحيد و التنزيه، و تركوا القول بالتعطيل و التشبيه، يعني لم يعطلوا صفات الله تبارك و تعالى و لم يشابهوها و يماثلوها بخلقه فتوسطوا بين الفرقتين، فاجتنبوا الإساءتين و فازوا بالحسنيين فأثبتوا إثباتا بلا تمثيل و نزهوا تنزيها بلا تعطيل " ليس كمثله شيء و هو السميع البصير" و كما ورد عن السلف الصالح في هذا الباب: " أمرّوها كما جاءت".**

**ثم من مظاهر توسط أهل السنة و الجماعة:**

**ثانيا : الوسطية في باب أفعال العباد بين الجبرية والقدرية وغيرهم.**

**و قد تقدم بعض ذلك من أن أهل السنة و الجماعة يثبتون للعبد قدرة و مشيئة و لكن هذه القدرة و هذه المشيئة لا تخرج عن قدرة و مشيئة الله تبارك و تعالى " ‏وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" فالله تبارك و تعالى هو خالق العبد و خالق فعله. قال عزّ و جل: " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" . و الله تبارك و تعالى قد بين للإنسان طريق الحق و طريق الضلال و أعطاه عقلا حتى يميّز به بينهما، فليس في هذا الكلام معنى الجبر أو ان الإنسان مجبر على فعل. لا، الإنسان مخلوق و له و قدرة و إرادة، هذه القدرة و الإرادة و العزم الذي يجده في قلبه، هذا من خلق الله تبارك و تعالى، فليس معنى ذلك أن العبد يجبر على فعله كما ذهب إلى ذلك الجبرية و قالوا أن العبد ليس لهم تصرف في فعله، من الذي أطاع الله عز و جل فبطاعة الله تبارك و تعالى و من عصى الله تبارك و تعالى فهذا مجبر على هذا الفعل و هذا مسلك أهل الشرك الذين يحتجون بالقدر على المعاصي و لكن أهل السنة و الجماعة أثبتوا للعبد قدرة و مشيئة لكنها لا تخرج عن قدرة الله تبارك و تعالى و لا يقولون بقول القدرية، نفاة القدر، أن فعل العبد يقع بغير قدر الله عز و جل، أي أن العبد يخلق فعله و هذا مخالف لقول الله تبارك و تعالى " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" و هذه آية صريحة في هذا الباب. و لكن ليس معنى هذا الكلام أن العبد ليس له اختيار أو مشيئة, فالإنسان يختار "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً" ، " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" ، فالله تبارك و تعالى بين له طريق الحق و طريق الضلال، فلو أن الإنسان خير بين أن يسير في طريق فيه إنارة و إضاءة و بين أن يسلك الطريق المظلمة، أي الطريقين يسلك ؟ يسلك الطريق المنير . فكذلك الإنسان يطيع ربه عز و جل و لا يحتج بقدر الله عز و جل على معاصيه، فأهل السنة و الجماعة يحتجون بالقدر في المصائب و لا يحتجون بقدر الله عز و جل في المعايب أي في المعاصي يعني إذا و قعت جائحة أو مصيبة يقولون قدّر الله و ما شاء فعل كزلزال أو نزول أمطار بكميات كبيرة فتجرف البلاد و العباد فيحتجون بقدر الله عز و جل و لكن في المعاصي لا يحتجون بقدر الله عز و جل على فعل المعاصي. فأهل السنة و الجماعة يحتجون بالقدر في المصائب و لا يحتجون به في المعاصي . فأهل السنة و الجماعة وسّطوا بين الفرقتين أثبتوا في العبد مشيئة و قدرة و لكن هذه المشيئة و القدرة لا تخرج عن مشيئة الله تبارك و تعالى لأنه لا يقع في كون الله تبارك و تعالى و خلقه شيء ليس من خلق الله تبارك و تعالى .**

**يعني المعاصي كل شيء يقع بقدر الله و لكن افعال الله تبارك و تعالى كلها خير والشّر الذي يقع هو باعتبار الفعل باعتبار المخلوق. مثلا : إنسان قد يبتلى في جسده بأمراض و لكن هذا الإبتلاء باعتبار المخلوق قد يراه شرا و لكن في قدر الله عز و جل هو خير لأن افعال الله تبارك و تعالى كلها خير كما قال النبي صلى الله عليه و سلم، و الشر ليس إليه هذا الشر باعتبار المخلوق لكن عند الله من وراءه خير فهذا الإبتلاء قد يحمل الإنسان على التوبة و الإنابة و الدعاء و التضرع. الإنسان إذا كان مبتلى عنده مصيبة تجده كثير الدعاء حتى إذا فُرّج عنه تجده يترك الدعاء . فأفعال الله تبارك و تعالى كلها خير و كل ما يقع في الكون سواء من الطاعة أو المعصية فكله بقدر الله عز و جل لكن لا نقول أن العبد قد اجبر على هذا الفعل لأن الله تبارك و تعالى قد أعطاه قدرة ومشيئة لكن لا تخرج عن مشيئة الله عز وجل و لكن لا يقع شيء في كون الله تبارك و تعلى إلا بقدر الله.**

**سأله طالب عن المعاصي : فأجاب هو من حيث الفعل هو من تقدير الله عز و جل لكن في فعل الله تبارك و تعالى هذا خير فقد لا يكون بمعنى الشر المحض , الشر الخالص, مثلا هذا الإنسان الذي يشرب الخمر أو آخر مثلا مبتلى بمعاصي فقد يكون عبرة لغيره يراه إنسان آخر على ما هو فيه من البلاء و المعاصي فيتعض به . مثلا أناس على المعاصي كانوا في طريق و كانوا في سيّارة فوقع لهم حادث و كانوا من الذين يشربون الخمر و يسهرون في الملاهي فماتوا عن بكرة أبيهم إلا واحد فهذا الواحد رجع إلى الله تبارك و تعالى و تاب إليه و أناب بسبب ما رآه. فهذا الفعل باعتبار هؤلاء المخلوقين شر لكنه ليس بشر متمحض , ليس بشر خالص فأفعال الله تبارك و تعالى كلها خير و هذا الباب يعني يحتاج إلى تفصيل إلى ذكر مراتب القدر الأربعة و تفصيلها حتى يتضح المقال يعني.**

**هو عموما في هذا الباب إنا كل شيء خلقناه بقدر والنبي صلى الله عليه و سلم كما في حديث عمر ابن العاص رضي الله عنهما قال:" إن الله تبارك و تعالى كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة" ، في اللوح المحفوظ, كل شيء مكتوب رفعت الأقلام و جفت الصحف . و لا يقع شيء في كون الله عزّ و جل إلا بتقديره سبحانه و تعالى، أهم شيء الذي ينبغي أن نعلمه أن أهل السنة و الجماعة توسطوا بين القدرية و الجبرية ؛ القدرية نفاة القدر جعلوا العبد خالقا لفعله و الجبرية جعلوا العبد مجبرا على فعله و ليس له إرادة و لا مشيئة . هؤلاء أطلقوا الإرادة و القدرة و هؤلاء سلبوا عنه المشيئة و القدرة فتوسط أهل السنة و الجماعة بينهما فأثبتوا للعبد إرادة و مشيئة لكنها لا تخرج عن إرادة و مشيئة الله تبارك و تعالى .**

**ثم من وسطية أهل السنة و الجماعة الوسطية في الوعد و الوعيد بين المرجئة و القدرية و غيرهم.**

**وهي تظهر عندما نعلم أن الرجاء والخوف عبادتان جليلتان، والله هو الأحق بهما؛ لأنه سبحانه وتعالى هو المعبود بحق دون ما سواه؛ ولهذا فقد وصف الله المؤمنين بهما، فقال: " إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"**

**وقال –جل شأنه-: "** **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" . وقال عن الملائكة: " يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" .**

**و المؤمن من يجمع بينهم؛ لضمان التوازن في حياته كلها، فحياته بين الخوف من الله و بين الرجاء فيما عنده، يعني يسير إلى الله تبارك و تعالى بجناحين : جناح الخوف و جناح الرّجاء. فإن غلبه واحد منهما بحيث ينفرد في نفس العبد عن الآخر, يكون هذا من الأسباب الرئيسية في اختلاف التوازن في حياة هذا العبد. يعني إذا غلب جانب الرجاء على جانب الخوف و هو أن الله عزّ و جل غفور رحيم فقد يحمله هذا على التلبس بالمعاصي والبعد عن طاعة الله عز و جل بدعوى أن الله تبارك و تعالى غفور رحيم . و إذا غلّب جانب الخوف على جانب الرجاء و بالغ في ذلك فقد يكون ذلك سببا في قنوطه أو سببا في يأسه من رحمة الله عزّ و جل و أن الله عزّ و جل لا يغفر له يقنت من رحمة الله تبارك و تعالى و يجب التوسط في ذلك بين الرجاء و الخوف.**

**ومن هذا المنطلق: فإن أهل السنة والجماعة يوجبون الجمع بينهما؛ اقتضاء بكتاب الله، وقد انحرفت بعض طوائف الأمة عن هذا المسلك، فغلب على بعضهم الخوف، فجعلوا العصاة في الدنيا كفارا، وفي الآخرة خالدين في نار جهنم، ويُطلق على هؤلاء الوعيدية. يعني ثمة طائفة غلوا في الخوف فجعلوا العصاة في الدنيا كفارا و يطلق على هؤلاء الوعيدية و يراد بهم المعتزلة و الخوارج و هذه المسألة هي مسألة معلومة, مرتكب الكبيرة ؛ و مرتكب الكبيرة عند أهل السنة و الجماعة لا يكفر بإقترافها إلا إذا استحلها لأن الإستحلال تكذيب لله و رسوله , و تكذيب الله و رسوله كفر . فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة و الجماعة ليس بكافر هو مؤمن لكن إيمانه ليس بكامل كأنه في انتقاص بقدر ما اقترفه من الآثام من المعاصي. يعني إيمانه ليس بإيمان كامل . فلا يسلبون عنه كل الإيمان , فيقال مؤمن متلبس بفسق أو مسلم فاسق , فثمة من الفرق من بالغ في ذلك و كفّروا مرتكب الكبيرة في الدنيا كالخوارج. فقالوا أن مرتكب الكبيرة كافر خارج عن ملة الإسلام و إذا مات على ذلك فهو مخلد في نار جنهم . و كذلك من سار على هذا النحو المعتزلة لكن اختلفوا مع الخوارج في حكم الدنيا و اتفقوا معهم في حكم الآخرة , في حكم الدنيا. قالوا إنه بين منزلة من المنزلتين لا هو مؤمن يعني لا يصفونه بوصف الإيمان و لا هو كافر هذا هو مذهبهم مرتكب الكبيرة بين منزلة من المنزلتين. قال:**

**ويُراد بهم المعتزلة والخوارج، وإن كانت المعتزلة ترى أن العاصي ليس بمؤمن ولا بكافر، ولكنه فاسق، أو في منزلة بين المنزلتين.**

**لكن إذا مات على ذلك ماهو حكمه؟**

**مخلد في نار جهنم. فاتفقوا مع الخوارج في الحكم الأخروي و اختلفوا في حكم الدنيا. لكن عند أهل السنة و الجماعة مرتكب الكبيرة إن مات و هو مقترف لهاته الكبيرة فما شأنه؟ هل هو مخلد في نار جهنم ؟ إن شاء عذبه الله تعالى بعدل سبحانه و تعالى و إن شاء عفى عنه سبحانه و تعالى بفضله و منّه و كرمه . فإذا مات مرتكب الكبيرة و هو متلبس بهذه الكبيرة فأمره إلى الله عزّ و جل إن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه و إن عذّبه فبقدر ما اقترف من الآثام يدخل نار جهنم فيعذب في نار جهنم بقدر ما اقترف من المعاصي و الآثام، لكن مآله إلى الجنّة حتى إذا ما وفّى ما عليه أُمر به فأخرج من نار جهنّم فيغسل في ماء الحياة حتى إذا ما نُــقُّـوا و هُذِّبوا أُمروا بهم فأدخلوا الجنة كما هو معتقد اهل السنة و الجماعة . لكن مرتكب الكبيرة إذا تاب منها في الدنيا تاب عليه الله عز و جل " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" . ‏"إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء". إلا الشرك لا يغفره الله تبارك و تعالى . فذكر هنا قال: و ناقض هاتين الطائفتين –الوعيدية أي المعتزلة و الخوارج- طائفة أخرى.**

**فقالت: إن العاصي يكون مؤمنا كامل الإيمان؛ يعني في النقيض طائفة أخرى المرجئة قالوا أن العاصي كامل الإيمان. لماذا؟**

**لأن الإيمان عندهم لا يتجزّأ. يعني إيمان العاصي كإيمان أبي بكر و إيمان عمر رضي الله عنهما . لأن الإيمان عندهم هو المعرفة يكفي أن تعرف ربك عزّ و جلّ ثم تقترف ما شئت من المعاصي و هذا يجرِّئ الناس على معصية الله تبارك و تعالى.**

**فقال: إن العاصي يكون مؤمنا كامل الإيمان، وأن الإيمان لا تضره المعصية؛ لأنه غير قابل للنقصان.**

**لكن الإيمان عند أهل السنة و الجماعة يزيد و ينقص , الإيمان عند أهل السنة و الجماعة قول و عمل, قول باللسان و عمل بالجوارح و الأركان , فالإيمان عند أهل السنة و الجماعة : إعتقاد بالجنان –أي بالقلب- و قول باللسان و عمل بالجوارح و الأركان يزيد بطاعة الرحمان و ينقص بمعصيته. لكن هؤلاء قالوا أن الإيمان لا يتجزأ: واحد, لا تضره المعصية. وبناء على ذلك فلا تفاضل عندهم بين المؤمنين، بل هم في درجة واحدة، فجحدوا بعض الوعيد، وما فضّل الله به الأبرار على الفجّار، ويقال لهؤلاء: "أهل الوعد". ف"أهل الوعد" بالغوا في الرجاء: أفرطوا فيه. و أهل الوعيد بالغوا في الخوف فكفروا أناسا من أمة النبي صلى الله عليه و سلم إلتبسوا ببعض الكبائر.**

**وتوسط أهل السنة والجماعة، فقالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وأما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله –تبارك وتعالى- إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؛ وذلك لأن الله عزّ وجلّ سمى مرتكب الكبيرة مؤمنا، كما في قوله: "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا" . والله عزّ وجلّ أيضا علّق مغفرة الذنوب –عدا الشرك- على مشيئته سبحانه، فإن شاء غفرها وإن شاء عذب صاحبها بقدر ذنبه، كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ"**

**الآية المتقدمة "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا" فأثبت لهما الإيمان مع وقوع القتال بينهما و قد ورد في حديث النبي صلى الله عليه و سلم : "سباب المسلم فسوق و قتاله كفر" . و هنا قال تعالى "وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا" فأثبت لهم الإيمان مع وقوع القتال بينهما فهذا يدل على بقاء إسم الإيمان و أنه إذا نقص الإيمان عنهما يكون يقدر ما اقترفوا من المعاصي و الذنوب و ليس معنى ذلك نفي الإيمان من أصله و أنهم ليسوا من أهل الإيمان .**

**الوسطية في باب أسماء الدين والإيمان:**

**والمقصود بأسماء الدين والإيمان: الألفاظ التي رتب الله عليه وعدا ووعيدا كمؤمن ومسلم، كافر وفاسق.**

**وإذا أردنا أن نعرف وسطية أهل السنة في ذلك؛ ننظر إلى الوعيدية الذين سلبوا اسم الإيمان عن العاصي في الدنيا، وسموه إما كافرا كالخوارج، وإما في منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة.**

**وأما المرجئة والجهمية: فالعاصي عندهم مؤمن كامل الإيمان؛ لأن مسمى الإيمان عندهم هو المعرفة القلبية، ولازم قولهم: إن فرعون وإبليس مؤمنان كما قال تعالى: "** **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا". وبينت الآية أن فرعون وقومه كانوا يعرفون رب العالمين ولكنهم جحدوا؛ استكبارا وظلما، وبغيا وعلوا.**

**"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" أي تكبرا , يعلمون أنه الله هو الخالق سبحانه و تعالى ولكن جحدوا بها.**

**وتوسط أهل السنة والجماعة وقرروا في أصولهم: أنّا لا نطلق الإسم ولا نرتب عليه من الوعد والوعيد إلا ما أطلقه الله ورسوله صلى الله عليه وسل وعليه فالعاصي بكبيرة من الكبائر هو مؤمن من جهة، وفاسق من جهة أخرى، فله من الإيمان الإيمانُ الناقص؛ لقوله صلى الله عليه وسلم. "لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه". يعني مثلا الإنسان حينما يؤذي جاره, هل يخرج من ملة الإسلام ؟ ليس بخارج عن ملة الإسلام لكن إيمانه ناقص . كما قال النبي صلى الله عليه و سلم:" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن". و ورد في حديث أبي ذر لما قال له:" بشّر من قال لا إله إلا الله بالجنة فقال أبو ذرّ: و إن زنى و إن سرق؟ قال: و إن زنى و إن سرق. ثم أعادها ثانية و ثالثة . حتى قال: و إن زنى و إن سرق على رغم أنف أبي ذرّ". فأهل السنة و الجماعة رحمهم الله و تعالى طريقتهم هي جمع النصوص، يعني لا يأخذون بنص على حدة كما فعل المعتزلة و الخوارج فيأخذون منها حكما و يحكمون بها على أهل الإسلام أو كما فعلت المرجئة و الجهمية و لكن يجمعون و يؤلفون بين النصوص و هذه طريقة أهل العلم. لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه" فدفع عنه الإيمان الكامل، وسماهم مع ذلك مؤمنا في قوله تعالى: " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا". مع ورود حديث النبي صلى الله عليه و سلم : "سباب المسلم فسوق و قتاله كفر". و هنا أثبت الله عز و جل لهما الإيمان.**

**خامسا : الوسطية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:**

**أهل السنة والجماعة توسطوا في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين الخوارج، والنواصب، والرافضة؛ فالخوارج عادوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكفّروه، والرافضة رفعوه إلى مرتبة الألوهية وغلَوا فيه غلوا شديدا، وكفَّروا كثيرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: يعني طائفة الروافض غلوا في علي رضي الله عنه حتى رفعوه إلى مرتبة الألوهية حتى أن الأئمة عندهم يعلمون الغيب , يعني في معتقد الرافضة الإثناعشرية الأئمة يعلمون الغيب و لهم تصرف في الكون و بين قوم كالخوارج عادوا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه و كفّروه، كما قالت الخوارج أن علي رضي الله عنه حكّم الرجال في كتاب الله عزّ و جل .**

**وأهل السنة والجماعة وقفوا بين هؤلاء وهؤلاء، فقالوا: بأننا نحب جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحب أيضا جميع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولكننا لا نغلوا في واحد منهم، ولا نخوض فيما حصل بينهم من خلاف، قال الله عزّ وجلّ: "** [**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**](http://www.islamseed.com/index.php?s=quran&chapter_nb=2&verse_nb=141)**" . وهؤلاء عل كل حال اجتهدوا، فمصيبهم له أجران، ومخطئهم له أجر واحد. وهذا يجرنا للحديث عن معتقد أهل السنة و الجماعة في الصحابة ؛ أن أهل السنة و الجماعة يترضون عن جميع أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم كما أثنى عليهم ربنا عزّ و جل في كتابه و نبيه صلى الله عليه و سلم في سنته , فلا يذكرونهم إلا بالثناء الجميل الحسن و أما ما وقع بينهما و شجر بينهما مما جرى في قدر الله عز و جل فيقولون أن من اجتهد منهم و أصاب فله أجران و من اجتهد منهم وأخطأ فله أجر واحد, و يكفون ألسنتهم و لا يذكرونهم إلا بخير.**

**سادسا : الوسطية في باب المنقول والمعقول:**

**اختلف الناس في هذه المسألة، وقد ذكر شيخ الإسلام بن تيمية –رحمه الله- هذا الخلاف، فقال: هذا الموضع غَلَط فيه طائفتان من الناس، طائفة غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولا من المعقول، وقدمته على الحسّ ونصوص الرسول صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنهم اعملوا عقولهم في نصوص الوحيين. وطائفة جفت عنه، فردّت المعقولات الصريحة، وقدمت عليه ما ظنته من السمعيات والحسيات.**

**وتوسط أهل السنة والجماعة، فقالوا: إن ما عُلِم بمعقول صريح لا يخالفه قط، لا خبر صحيح ولا حس صحيح. وكذلك ما عُلِم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس.**

**يعني العقل السليم لا يخالف ما ورد في كتاب الله عز و جل و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم فلا يغالون في إثبات العقل فالعقل تابع لنصوص الكتاب و السنة و هو وسيلة لفهم الكتاب و السنة و ليس هو حكما على نصوص الكتاب و السنة, فما أدركه بعقله قبله و ما لم يدركه بعقله لم يقبله . كأمور تأتي مثلا كإخبار على الغيبيات أو مسائل قد لا يقبلها العقل كحديث موسى بأنه فقأ عين الملك حين أتى ليقبض روحه, عليه الصلاة و السلام . فثمة من بعقله يرد هذا النص و يقول كيف موسى يفقأ عين الملَك أي من الملائكة بفتح اللام, فهذا نؤمن به لأنه قد ورد في سنة النبي صلى الله عليه و سلم و ثبت بالسند الصحيح و لا نرده بعقولنا.**

**المعتزلة هي المدرسة العقلانية و من سار على نهجهم: يعني لهم بقايا في هذا الزمان و من يسيروا على نهجهم و إن لم يتسموا باسمهم و لكن من سلك مسلكهم في الإستدلال بالعقل و تحكيم العقل علة نصوص الوحيين . فهنا المقصود أن العقل تابع لنصوص الوحيين و هو أداة لفهم كتاب الله عز و جل و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و ليس هو حكما عليهما بل إن العقل لا يستطيع و لا يستنير إلا بكتاب الله عز و جل و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم فلا بد من تعظيم نصوص الوحيين و إن لم يقبله العقل فقد لا يدركه عقل لقصوره و يدركه عقل آخر فهناك من منّ عليه الله عز و جل بالفهم.**

**قال تعالى :" فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ " فالفهم نعمة من الله تبارك و تعالى.**

**ثم ذكر في خاتمة هذا الباب الخصائص الأخلاقية و السلوكية لأهل السنة و الجماعة.**

**أهل السنة والجماعة كما رأيناهم حملة ميراث النبوة في جانبيها العلمي والعملي، ولا شك أن أبرز الجوانب العملية في الهدي النبوي هو الجانب الأخلاقي، ولذلك فإن أخلاق النبوة من الرحمة، ومحبة الخي للناس، واحتمال أذاهم، والصبر على دعوتهم، إلى آخر ذلك. فهي المنبع الصافي الذي يستقي منه أهل السنة خصائصهم السلوكية والأخلاقية والتي لا تقل أهمية في منظور الحق عن ميراث العلم والهدى الذي اختص الله به هذه الفرقة الناجية بفضله ورحمته. وفي هذا كان يقول بن تيمية –رحمه الله- : الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عِوَض، وبالصبر على أذاهم واحتماله، فبعثه بالعلم والكرم والحلم، فهو صلى الله عليه وسلم كان يتصف بهاته الصفات.**

**و كما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه و سلم فقالت:" كان خلقه القرآن". تجسيد عملي لما أرشد إليه ربنا عز و جل في كتابه؛**

**" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"**

**"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"**

**"وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"**

**"**[**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين**](http://forum.stop55.com/217041.html)**" : " والكاظمين الغيظ" أي لا يرد غيظه على من ظلمه وهو قادر على إنفاذه. "والعافين عن الناسوالله يحب المحسنين" : الذين يحسنون الى الخلق.**

**فكان يُعلِّم ويهدي ويصلح القلوب، ويدلها على صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض، وهذه كانت صفة جميع الانبياء والمرسلين، ويجب أن تكون هذه الأخلاق هي سبيل من اتبع الأنبياء والمرسلين. ولهذا نجد أن الله تعالى نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ".**

**وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تبارك وتعالى في خُطبته(في كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية"، رسالة للإمام أحمد رحمه الله تبارك وتعالى): الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرّسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى(يعني طريقة أهل العلم ومن سار على هديهم ومن انتسب إلى أهل السنة والجماعة؛ التحلي بالحلم والصبر والعفو والإحسان. فأهل السنة والجماعة الذين ينتسبون إلى هذا المنهج يتسمون بهاته الصفات تبعا لنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يكون الإنسان حقا متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبعه في هداه عليه الصلاة والسلام : "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ".)**

**قال: يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى.**

**يصبرون على الأذى: كما قال صلى الله عليه وسلم: "ما أُعطِي عبد عطاء أوسع من الصبر"، فهذه نعمة من الله عز وجل أن يتحلى الإنسان بخلق الصبر وأن يكون من الصابرين :"والله يحب الصابرين".**

**فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوه؟ وكم من ضال تائه قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، إلى آخر كلامه في ذلك.**

**وهو سبحانه وتعالى يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها، وهو يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات. وقد قيل أيضا : وقد يحب الشجاعة ولو على قتل الحيات، ويحب السماحة ولو بكفّ من التمرات.**

**وأهل السنة والجماعة –في أخلاقهم وسلوكهم- يأتمون بالكتاب والسنة، فهم يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمرّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون قوله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقا" . وهذا شأن المؤمن ، كما قال صلى الله عليه وسلم: "** **عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سرّاء شكر ؛ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر ؛ فكان خيراً له" وليس ذلك إلا للمؤمن الذي يصبر ويرضى بقدر الله عزّ وجلّ.**

**وأهل السنة كذلك هم أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وهذا أصل عظيم من أصولهم، وقاعدة كبيرة عظيمة جعلتهم حقا هم خير أمة أخرجت للناس: هذه الشعيرة العظيمة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه من سمات أهل السنة والجماعة أنهم يأمرون بالمعروف بمعروف وينهون عن المنكر بغير منكر وهذا يستلزم علما بالشيء الذي يأمر به أن يكون من المعروف ويستلزم كذلك علما بأن هذا الشيء الذي ينهى عنه من المنكرات حتى يكون في دعوته على علم وبصيرة.**

**قال: وقاعدة كبيرة عظيمة جعلتهم حقا هم خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: "** **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّه". وكما قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم في حديث عن ابي سعيد الخدري:"** **من راى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". وكما قال صلى الله عليه وسلم :" مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا" ، فهذا مثال ضربه لنا النبي صلى الله عليه وسلم لبيان عِظَم قدر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهؤلاء القوم بعضهم يسكن أعلى السفينة وبعضهم أسفلها، فالذين هم أسفل السفينة قالوا: لو : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. يعني كل مرة نصعد وننزل حتى نأتي بالماء .. فإن تركوهم، أي يقومون بإحداث هذا الخرق في السفينة ستغرق السفينة كلها وإذا أخذوا على ايديهم ، نجت السفينة بمن فيها. قال تعالى :" وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" يعني إذا نزل البلاء والعذابي يعمّ الجميع إلا أهل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قالت احدى أمهات المؤمنين للنبي صلى الله عليه وسلم :" أنهلك وفينا الصالحون؟" قال عليه الصلاة والسلام:" إذا كثر الخَبَث." أي كثرت المعاصي ولا أحد ينكر. قال تعالى :" وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ". يعني إذا سئلنا فقد أعذرنا إلى ربنا عز وجل وأمرناهم بالمعروف ونهيناهم عن المنكر، أما مسألة النتائج فهذه على الله تبارك وتعالى. فالذي نملكه هو هداية الدلالة أما هداية التوفيق فهذه إلى الله عز وجلّ. فهداية الدلالة أن نرشد الخلق الى الخير و نأمرهم بالمعروف. وهداية التوفيق أن الله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ؛ قال تعالى:" إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهتَدِينَ" ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم يملكها لملكها لعمه ابي طالب الذي كان يحوطه ويحفظه ويحميه صلى الله عليه وسلم ولكنه أبى إلا أن يموت على ملة عبد المطلب ؛ وفي هذا كفاية بإذن الله تبارك وتعالى.**

**بعض الأسئلة بارك الله فيكم:**

**السؤال: هناك حديث يقول: "هناك شيئان على الناس بهما كفر ؛ النياحة على الأموات والتفاخر في الأنساب"..**

**الجواب : هذه من أعمال أهل الجاهلية وهنا ليس المقصود بالكفر الكفر المُخرِج من الملة ، ولكن الذي يفعل هذا الفعل لا يسلك سبيل المؤمنين الذين يرضون بقدر الله عز وجل ، فإذا مات الميت يرضون بقدر الله عز وجلّ ويحزنزن الحزن المشروع، الذي ليس فيه نياحة أو شق للجيوب ولا لطم للخدود ولا غير ذلك الأشياء المحرّمة. فالكفر هنا ليس الكفر المُخرِج من الملة، فمن تلبس بشيء من ذلك فهو ناقص الإيمان بقدر ما تلبس به من المعاصي.**

**السّؤال: هل لنا أن نقول أن الإنسان مسير أو مُخير في أعماله؟**

**الجواب: يعني هو الإنسان –إن أردنا أن نصطلح بهاته الصطلحات تنزُّلا- مسيَّرا بعبارة أنك لم تحدد من أبوك ومن أمك، أو أنك وُلِدت في تونس أو مكان آخر... فهذا ليس باختيارك ، أو أنك وُلدت في هذا الوقت، أو أن صفاتك بهاته الكيفية.. فأنت مُسَيَّر في ذلك. أما أنك مُخيَّر في الحياة الدنيا بمعنى أنك تختار بين طاعة الله عز وجل وبين معصيته، فنعم.**

**السؤال: كيف نجمع بين قوله تعالى :" وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا" وبين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" فالله أثبت لهم الإيمان، والرسول أخبرنا بأنه كفر.**

**الجواب: هذا من الكفر العملي ، فيُقال يقع قتال بين طائفتان من أهل الإيمان ، ولا يقاتله استحلالا لإيمانه لكن وقع بينهما قتال، هذا القتال يُسمى بالكفر، لكن ليس كُفرا مُخرِجا من الملّة ولكنه من قسم الكفر العملي، لأنه تشبه بأوصاف أهل الكفر الذين يقاتلون أهل الإسلام.**

**السؤال: هل أهل البدع قاموا بتسمية أهل السنة بالمُشَبِّهة أو الجهمية أو المجبرة ؟**

**الجواب: أي نعم، ورد هذا . على أساس من علامات أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وفي أهل الحديث وعدم محبتهم، لأن أهل الحديث هم نقلة الوحيين، ونقلة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيدها ويعملون بمقتضى ما وصل إليه، ولكن أهل البدع لا يرتضون ذلك ، لكن أهل الحديث يقفون عند النصوص الواردة بالأسانيد الصحيحة ويردون على أهل البدع بالدليل، فلا يحبونهم . كما قال الإمام بن ابي داوود في المنظومة الحائية:" ولا تكن من قوم تلهَّوا بدينهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح".**

**فهذه الأسماء وردت عن أهل البدع ووصفوا أهل السنة بها من أنهم مُشبِهة، في أنهم أثبتوا الصفات لله عز وجل كأن لله تبارك وتعالى يدا وأنه سبحانه وتعالى يستوي على عرشه استواء يليق بجلاله وأنه سبحانه وتعالى ينزل إذا بقي الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، كما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكل هذه النصوص وما جرى مجراها كما هو مُعتقد السلف إجراؤها على ظاهرها " أمروها كما جاءت بلا كيف".**